الذاتية في شعر أبي الطيب المتنبي

دكتور/ إبراهيم نور الجليل المدني

أستاذ مشارك . كلية التنمية البشرية. جامعة أم درمان الإسلامية

دكتور/ المعتز حامد بشير محمد

أستاذ مساعد . كلية الإمام الامام الهادي

المستخلص

تناولت هذه الدراسة ذكر الأنا في شعر المتنبي وفخره بشعره والتغني بقوته وتعاظمه واعتداده بنفسه **ونبعت** أهمية الدراسة في أنها تحليل لشخصية ذلك الشاعر من خلال شعره، وقد **تمثلت** مشكلة الدراسة في تساؤل رئيس: ما سر ظهور تلك الذاتية الواضحة في شعره ؟ **وهدفت** الدراسة إلى إظهار جوانب مهمة في شخصية المتنبي، **واتبعت** الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، **وتوصلت** إلى أن ذكره الدائم والتغني بنفسه لم يكن من وراء أوهام ادعاها المتنبي، ولكن قدرة حقيقية وإنتاج غزير **أوصت** الدراسة بتناول شعر المتنبي من جانب نظريات علم النفس.

الكلمات المفتاحية: الكوفة – السمو – الثقافات – الاعتداد – الافتخار.

Abstract

This study dealt with the mention of the ego in the poetry of al-Mutanabbi and his pride in his poetry and singing with his strength, his magnanimity and his self-esteem, and the importance of the study stems from the analysis of the personality of that poet through his poetry. The study aimed at showing important aspects in the personality of Mutanabi. The study followed the analytical descriptive method, and concluded that his constant mention and singing himself were not behind the illusions of Mutanabi. However, real capacity and abundant production recommended .the study of Abu Firas poetry by the theories of psychology

.**Keywords**: Kufa - Highness - cultures - arrogance - pride

مقدمة:

الإحساس بالذات ظاهرة قديمة قدم الإنسان على وجه الأرض وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد خصائص هذه النفس، والتي فطرت على حب الذات بوسائل مختلفة منها الصريح والضمني من نحو قوله تعالى : **(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)**[1] أو ما جاء تعريضا من نحو قوله تعالى: **(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ**

[1] سورة لقمان الآية 18 – 19

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا). [1]وقد حظي هذا العارض النفسي بمساحة كبيرة في الدراسات الإنسانية الحديثة ترمي بظلالها لدى كثير من الشعراء والأدباء.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة من كونها تناولت شاعرًا كبيرًا شغل الدارسين قديمًا وحديثًا، إلا أن أحدًا منهم لم يلتفت إلى صورة الأنا في شعر المتنبي، وبالتالي تعد هذه دراسة جديدة في موضوعها على الرغم من الدراسات التي دارت حوله

هدف الدراسة:

لذلك تهدف هذه الدراسة إلى سبر أغوار شخصية المتنبي ؛ للربط بين الذاتية الظاهرة في شعره، والبيئة التي عاش فيها والآخرين الذين شكلوا تلك الظاهرة.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة على تساؤل رئيس هو: ما سر ظهور تلك الذاتية الواضحة في شعر المتنبي.

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة أن أسباب تلك الذاتية هي البيئة التي أحاطت بالشاعر، ولعلها الشخصيات الذين عاش بينهم.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، الذي يعرض الظاهرة ويحلل أسبابها؛ فالفخر من أبرز الأغراض الشعرية التي ظهرت في الشعر العربي وافتخار الشاعر بنفسه وقومه ، نوع قريب من المدح؛ لأنه يقوم على الإشادة بفضائل النفس

من أنواع الفخر، الفخر الذاتي ، وفيه يفخر الشاعر بنفسه، قاصرًا فخره عليها، غير ملتفت لسواه. وكان هذا النوع من الفخر كثيرًا جدًا، وقد نبت تلقائيًا من نفوس تهوى العزة، وتعشق المجد مثل: المتنبي ، و أبي فراس الحمداني وغيرهم، والفخر الجماعي، هو فخر الشاعر بقبيلته وقومه كفخر عمرو بن كلثوم، ولبيد بن ربيعة وغيرهم من من شعراء العرب.

فالذاتية في علم النفس تعبير عن توتر نفسي جراء مشاعر إنسانية منها الفقر أو الشعور بالعزلة والنقص أو ما ينشأ من دوافع السيطرة والتفوق على الآخرين وكلها تهدف إلى إشباع العديد من الحاجات التي ترمي إلى بلوغ النفس مرحلة السلامة الداخلية.

و الفخر من أول مباعث الأدب تأثيرًا على فطرة الإنسان، ويكون بتعداد الصفات الكريمة لمن يفخر وتحسين السيئات منها، ونراه يرتبط غالبًا بالشجاعة، والكرم، والوفاء، والحلم، وعراقة الأصل، وحماية الجار والنزيل ومنع الحريم، والفخر من نتاج العاطفة الجياشة الصادقة، والانفعال القوي. ومن هنا لا يلتزم الفخر بالحقائق التاريخية، بل يعمد إلى المبالغة والتهويل، وإطلاق الخيال

[1] سورة الفرقان الآية 63 .

الخصيب، وتنطلق فيه الألفاظ والعبارات موافقة له، مطابقة لمقتضى حاله، مشتدة بشدته. و الفخر من ابرز الأغراض الشعرية التي ظهرت في الشعر العربي حيث حفل بالشعراء الذين أظهروا هذا الغرض الشعري في قصائدهم.

أولا : عصر المتنبي:

ففي القرن الرابع الهجري؛ اضطربت السياسة وكثر المتغلبون واضطرمت بينهم نيران الحرب، وكثرت الثورات والغارات ولكنّه كان مع ذلك عصراً مخصباً بالعلوم والآداب. فمازال العلماء والأدباء منذ القرن الثاني الهجري يفكرون ويبحثون ويؤتون الناس ثمار عقولهم يخلّدونها في الكتب ميراثاً لمن بعدهم حتى كان القرن الرابع فإذا ثروة عظيمة زاد العلماء عليها واجتهدوا في نقدها وترتيبها. ثمّ كثرة الدوَل أدّت إلى تنافس الملوك في المجد وحسن السمعة وبعد الصيت، فحرص كل ملك على أن يجذب إليه العلماء والأدباء ويكثر حوله الشعراء ليذيع صيته ويخلد اسمه بما يؤلّف من الكتب له وما ينظم من الشعر في مدحه. كان القرن الرابع يموج بالشعراء ولكنهم كانوا أقلّ ابتكاراً وأصالة من شعراء القرن الثالث. وإذا استثنينا أبا الطيب لم نجد فيهم مَن يقاس بأبي نواس وأبي تمام والبحتري. وإجمال الكلام أنّ القرن الرابع كان من أزهي العصور الإسلامية في كل ما تناولته الحضارة العربية الإسلامية من علم وأدب[1]. ويميل الباحثان إلى الاعتقاد أن القرن الرابع تهيأت فيه فرص ذهبية أكثر؛ لم ينلها أصحاب القرن الثالث بسبب التقدم الحضاري.

هذا هو عصر أبي الطيب المتنبي الذي يُعرَّف عند الباحثين بعصر الدويلات أو الإمارات المستقلة، وهو نتيجة انحلال الدولة العباسية الذي يرجع بدوره إلى عوامل شتّي خارجية وداخلية: تتمثّل الأولي في تآكل أطراف هذه الدولة بفعل حملات المعارضين، وبينهم الترك والمغول ونشوء الدويلات في أنحاء شتّي بعضها قريب من مركز الخلافة وبعضها بعيد[2].

لكل عصر من عصور الشعر أمير، فكما كان امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية وأحمد شوقي أمير شعراء المعاصرين، كان أبو الطيب المتنبي أمير عصره بل وينصبه الكثيرون أميراً على الشعراء قاطبة في كل العصور[3]، والمتنبي لم يكن شاعراً[4] وحسب فهو بصمة قوية وراسخة في عالم إبداع النظم العربي ككلّ وقلّما تجد كتاباً للنصوص في أيّ منهج مدرسيّ عربي يخلو ولو شيء بسيط من شعره. ويعدُ أبو الطيب من أشهر شعراء العربية التي دارت حوله أقلام الباحثين والدارسين وفرض إنتاجه الشعري على النقاد وأهل العلم الاهتمام به، وهذا الاهتمام الواسع دليل على إثراء الشاعر في الساحة العربية وتأثيره على المتلقي العربي والإسلامي في حياته ومماته مَما جعله يتفاخر بكلّ شيء في شعره، ولربّما لا نمر على بيت كان قمة في الفخر والفلسفة والإبداع كما نمرّ على هذا البيت الذي يصف فيه المتنبي نفسه به:

---

1) انظر :ضيف، شوقي ، تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات)،341

2) فروخ ،عمر، تاريخ الأدب العربي ،457/2

3) كبريت، سمير محمد، روائع الشعر العربي(المتنبي حياته...). 9 –

4) الواحدي، شرح الديوان المتنبي،9/1

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي مَن به صممُ[1]

فأبو الطيب لم يسلك مساراً واحداً في نظمه للشعر بل جمع في شعره الحكمة والفخر والغزل والهجاء الساخر والقسوة والصلابة واللين، ولكلّ نوع حلاوته وطعمه الخاص ، كما أنّ لغته ورغم عمق قِدمها الّا أنه قلما استخدم فيها ألفاظاً غير مفهومة؛ حيث تميز أسلوبه بالسلاسة التي أحيت شعره حتي زماننا هذا[2].

ثانياً: حياة المتنبّي:

أبو الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي من اصل عربي جُعفي ينتهي نسبه إلى كهلان من القحطانية. وُلد في الكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة[3] (915م، 303هـ). في محلة تدعي «كندة» فيعود نسبه إلى (قبيلة مُدحج من اليمن عرب الجنوب)[4]، وكان أبوه سقّاء في الكوفة يستسقي ويعرفه القوم بعبدان السقاء، أُمّه ماتت وهو طفل فقامت له جدّته مقام الأم. وكانت جدته لأمه همذانية من أهل الكوفة قد ذكر نسبها القاضي أبو الحسن بن شيبان الهاشمي الكوفي[5]. ونشأ الفتي في الكوفة أحد مواطن الحضارة العباسية. اشتهر بقوة الذاكرة وشدة النباهة والذكاء والجدّ في النظر إلى الحياة والمقدرة على نظم الشعر. نشأ المتنبي في البادية وعاش بين القبائل، وكان أبوه يسافر به وهو صغير إلى الشام متنقلاً من البادية إلى الحاضرة فاكتسب من الأولى صلابتها ونزعتها ومن الثانية علومها وثقافاتها الأدبية[6]. وكان من نشأته عالي الهمّة، كبير النفس طموحاً إلى المجد. المجد. فأبو الطيب المتنبي عربي أصيل، ورث عن أجداده النزعة العربية والفروسية وتخلّق بهما ولذلك طبع شعره بطابع كل منهما.

ذكر صاحب الصبح المنبئ (البديعي) أنَّ أبا الطيب قال:(وردت في صباي من الكوفة إلى بغداد)[7] جاء أيضاً في ديوان المتنبي شرح البرقوقي أن أبا الطيب تطوف مدة في الشام يتلقى شيئاً من العلم في بعلبك وطرابلس واللاذقية وقد كانت هذه المدن في ذلك الحين مراكز للعلم وللتعليم. ويغلب على ظنّ الكثيرين أنّ أبا الطيب قد تُوفي في الشام ثمّ احتاج أبو الطيب إلى المال ولم يستطع التكسّب بشعره في ذلك الطور الباكر من حياته فطمح إلى شيءٍ من النفوذ لنيل ولاية وتحصيل عيشٍ رغدٍ فأنار في نواحي حمص فتنة بين الأعراب ودعاهم إلى الامتناع عن رفع الضرائب. وليس أحبّ إلى البدو مِن مثل هذه الدعوة. فأخذه والي حمص في قرية يقال لها

---

(1) ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، دار الكتب العلمية بيروت، ج2، ص62.

2) الواحدي ، شرح ديوان المتنبي ،250/1

(3) وفيات الأعيان، لابن خلكان، ج 1، ص120، 125، . وتاريخ بغداد ج2، ص102. والصبح المنبئ ص20.

(4) فروخ، تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج2، ص 457

(5) انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، القاهرة ص366 وبعدها.

(6) أمراء الشعر العربي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط العاشرة 1975م.

(7) الصبح المنبئ عن حيثية المتنبي، للبديعي، تحقيق مصطفى السقا و محمد شتا وعبده زيادة، دار المعارف القاهرة، القاهرة، ص20.

(كوتكين)[1] واتّهمه بالتنبؤ ثم سجنه مدة. فلزمه منذ ذلك الحين لقبُ المتنبي. وكان هذا اللقب وصار عند الناس عامة وقيل في أصل هذا اللقب أقوال هو أنّ أبا الطيب لما أراد استماله البدو في بادية حمص كان يزجر لهم المطر أو يتنسّم لهم الأخبار ثمّ يُخبرهم بها قبل انتشارها– يرى الباحثان أنه أي كانت أحداث وحقيقة هذا الاسم فإن للشاعر إنتاج عقلي مميز ومتفرد يجب أن نصب جل اهتمامنا عليه– وفي السجن نظم المتنبي قصيدة يمدح فيها الوالي ويعتذر اليه بأنّ ما فعله كان ذنباً دعا اليه طيش الصبا ثم بالغ فقال عن نفسه: «انّه صغير السّن لم يجب عليه السجود بعد فلا يجوز ان يعاقب بالحبس قال:

تعجل في وجوب الحدود ... وحدى قبل وجوب السجود
فمالك تقبل زور الكلام ... وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاذبين ... ولا تعبأن بمحك اليهود[2]

وأراد الوالي التخلّص منه فأخرجه من السجن على أن يبتعد عن منطقة حمص ما أمكن، فذهب المتنبي إلى الشام وجعل يتطوّف في البلاد ويمدح نفراً من الأمراء والولاة والأعيان. في هذا الدور الأول نظم المتنبي شعره الموسوم بشعر الصبا في أغراض مختلفة، وكان بعضه قصائد مطولة في المديح والفخر وذمّ الزمان وفي الحكم التي يحمل عليها الشبابُ من التهوّر والمغالاة في الاعتزاز بالنفس ومن الطموح. حيث يقول:

فؤادٌ ما تُسلّيه المُدام ... وعيشٌ مثلما تهَب اللئامُ
وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكنْ ... معدنُ الذهب الرغامُ
أرابُ غير أنّهم ملوك ... مفتّحةٌ عيونهم نيامُ

وأيضاً يقول في القصيدة الأخرى:

أطاعنُ خيلاً من فوارسها الدهر ... وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبرُ؟
وأشجعُ منّي كلّ يوم سلامتي ... وما ثبتتْ إلا وفي نفسها أمرُ
تمرّستُ بالآفات حتى تركتُها تقولُ: ... أفاتَ الموتُ أم ذُعر الذعرُ
وأقدمتُ إقدام الآتيّ كأنّ لي سوى ... مُهجتي أو كان لي عندها وترُ
ذرِ النفس تأخذْ وسعها قبل بينها ... فمفترقٌ جارانِ دارهما العمر
ولا تحسبنّ المجد زقّاً وقينةً فما ... المجدُ إلا السيفُ والفتكة البكر[3]

والحديث عن البيئة وتأثيرها في طبع الشاعر، إن نشأته في الكوفة كان لها أثر في حياته فالبيئة تسهم إسهاماً فعالاً في التكوين النفسي والمعرفي للأديب[4]، فالكوفة لم تكن مدينة هادئة، وإنما وإنما كانت بيئة صاخبة تعددت فيها أحداث متتابعة، سياسياً ودينياً مما كان له الأثر الكبير في حياة المتنبي الذي نشأ ثائراً على هذه الأوضاع مع طبيعة الشاعر المرهفة، وهذه كانت من الأسباب التي

(1)البديعي، الصبح المنبئ، ص59.
(2)، برقوقي، ديوان المتنبي ،ج1 ص49.
(3)البرقوقي، ديوان المتنبي، ج1 ص178.
(4)يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، ص 80.

دفعت "بالشاعر الفتى إلى ضرب من القول الساحر الذي لم ترَ العربية مثله في شعر شاعر"[1]. فإذا كانت هذه من الأسباب حقيقة أم غيرها أن قلة الكتب والمراجع عن طفولة الشاعر تجعل من الصعب أن نضع اليقين التام، ولكن مما توصلنا إليه أنه نشأ قوي الشخصية ذا نزعة استقلالية ذو انفة واعتزاز يحتقر الجُبن، وأن هذه القوة كبحت جماح نفسه واختارت وجهة القراءة والاطلاع مع وجود الموهبة. فكان الشاعر الذي ظلت شخصيته وإبداعه إشكالية أدبية ونقدية مثيرة للجدل بين الدارسين والعلماء والأدباء والمعاصرين والمحدثين، ولم تعرف العربية شاعراً أُشرِعتْ الأقلام للكتابة عن شعره كأبي الطيب، الذين ذهبوا هؤلاء طرائق قِددا في الحكم على شعره وفِكره، بين محب معجب وبين آخر لا يرى في فنه ما يشغل الدنيا، فظهر الحساد والمعجبين، وظل نتاجه معتركاً نقدياً.

وإذا كان هذا المعترك حول شعره فالشعر عموماً محل اهتمام منذ القدم، وأن الشعر فن من فنون العرب، عماده وجود الموهبة والفطرة، وأن الاستعداد الفطري هذا بحاجة إلى أدوات مُعينة ليظهر هذا الانتاج الفني، وذلك بحفظ الأشعار ودراستها، فقد قرن النقاد صفة الفحولة بحفظ الشعر وروايته[2]. وقال الجرجاني: رواية الشعر أحد الأسس التي تقوم عليها صناعة الشعر[3]. فالمتنبي شاعر صقل هذه الموهبة منذ الصغر وكان ذا ثقافة واسعة فما روافد هذه الثقافة،

إذا كان من معاني الثقافة كما يرى البعض عند الإنسان، صقل الذهن والذوق والسلوك، وهي جماع ما يكتسبه الطفل من بيئته، وهي ممارسة للتفكير ومعالجة التعبير بالرأي فإذا كانت هذه المضامين تدور حول ثقافة الإنسان عامة [4]. وتشكيل ذات المبدع فماذا أكتسب المتنبي من هذا السلوك، خاصة من خلال ترحاله في البادية وحضرها، لقد أمضى المتنبي شطراً كبيراً من حياته في الترحال وراء العلم وصقل موهبته، وكانت الرحلة وسيلة ورافد يضيف إليه علماً بالقبائل ولهجاتها وخبرة بالناس، ومعرفة التاريخ والإنسان [5]، وقال: عنه البديعي أنه "قوياً على السير سيراً لا غاية بعده وكان عارفاً بالفلوات"[6]. قال عن نفسه:

أوانـــــاً في بيوت البدو رحلي وأوانـــــه علــــــى قتدِ البعيــــــــر

وذكر البديعي أنه قدم الشام في صباه وجال أقطارها فقد ترحل بين بوادي يتزود بالفصاحة وأكد ابن الأثير أن "الفتى تزود بأزواد الفصاحة بتبدئته المبكرة أي رحيله إلى البادية"[7] ترحل المتنبي المتنبي بين البادية ليتعلم اللغة، وكان يعود من هذه البادية متضلعاً من معرفته بها، عارفاً بأسرارها، فيزهو بنفسه، ويعلن استعلاءه وفخره بعروبته وتأويل مقوماتها وهي اللغة الفصيحة التي حصل عليها

(1)محمود شاكر، المتنبي، ص 191.
(2)ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص 197.
(3)الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 15.
(4)فاروق حسان، ثقافة المتنبي دار العلم والإيمان، الطبعة الأولى 2008م، ص 23- 24.
(5) المتنبي، محمود شاكر، ص 336.
(6) الصبح المنبئ، ص 55.
(7)ابن الأثير، المثل السائر، ص

في جوف الصحراء، وقد غدت الحياة البدوية الحرة مثله الأعلى[1].فهذا الترحال كان سبب من أسباب ثراء ثقافته، وأثر البداوة له بعداً عميقاً في شعر المتنبي قال:

مـن الجـآذر في زِيِ الأعاريب حُمـر الحُلي والمطـايا والجلابيب

منها:

حسن الحضارة مجلوب بتطـرية وفي البداوة حســن غير مجلوب(2)

من خلال تتبعنا لأثر الرحلة في حياة المتنبي عرفنا أنه كان شغوفاً على معرفة العربية من أصولها، وكان "من المكثرين من نقل اللغة"[3]، وكان محباً لمعرفة اللغة والأدب قال البديعي: قال أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي: كان أبو الطيب (محباً للعلم والأدب، صحب الأعراب في البادية، وجاءنا بدوياً قَحّاً، وكان يتعلم الكتابة والقراءة، فلزم أهل العلم والأدب وأكثر من ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم)[4] قال: ابن خلكان ما سئل عن شيء(الا أستشهد بكلام العرب من النظم والشعر)[5]، وقد عرف حرصه على اقتناء الكتب وحملها في أسفاره (وقد كان يحفظ ديوان الطائيين ويستصحبها)[6]. وكان أكثر إشفاقاً على دفاتره؛ لأنه (قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً)[7] بنفسه. بنفسه. أضف إلى ما ذكرنا أنه عاش في العصر الذهبي (العباسي) الذي زخر بعلماء اللغة وفقهائها، وشيوخ النحو والصرف والبلاغة، عاش في عصر ساد فيه معرفة اللغة فمن الطبيعي أن يَلم المتنبي بالثقافات الموجودة، مع الأثر الذي تركته فيه المدرسة الكوفية في بداياته بالكوفة[8]. وفي وفي مسيرة حياته التقى بابن خالويه (370هـ)، وأبي الطيب اللغوي (35هـ) وأبي على الفارس (377هـ) وعلي بن حمزة البصري (375هـ) وصاحبه وشارح ديوانه ورفيق مسيرته ابن جني (392هـ) وغيرهم[9] هذا كله مع وجود عبقرية فياضة وطموح فقد (أجمع العرب والمستشرقون على الإشادة بعبقريته الفذة، وشاعريته المتفوقة)[10]، (مما جعله في نظر بعض النقاد شاعراً فذاً فريد الطراز نادر

---

(1)بلاشير، ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين ترجمة: أحمد أحمد البدوي، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ص 107.

(2)برقوقي، ديوان المتنبي، ص. 203.

(3)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 104.

(4)البديعي، الصبح المنبئ، ص 20.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 105.

(6) الصبح المنبئ، ص 186- 187.

(7) المصدر السابق، ص 173.

(8)الأنباري، نزهة الالباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل، دار النهضة، بمصر، القاهرة، 1967م، ص ص 220.

(9)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 104 وما بعدها.

(10)فوزي عضوي، المتنبي شاعر السيف والقلم

الموهبة)[1] وإن كان من المتأخرين لكن بلغ شأواً بعيداً في العلم باللغة وغريبها وشواردها حتى عُدّ في عصره من علمائها وإن غلب عليه الشعر.

مع هذه العوامل هناك العامل الديني الذي كان له الأثر الكبير في إثراء ملكة المتنبي وإلمامها بالعربية فقد نهل الشاعر من الثقافة الإسلامية التي تعَّد مصدراً هاماً من روافد ثقافته اللغوية والمتتبع لديوانه يجد أثر هذه الثقافة التي استقاها من القرآن الكريم والسنة النبوية فقد تأثر" بالجملة القرآنية لفظاً وصياغة، وأسلوباً فقد صقل لسانه بآياته واستولى إعجازه على كل قواه العقلية، ومواهبه الفنية"[2] لقد "قرأ المتنبي القرآن والحديث، وخطب الراشدين، وحكم العقلاء"[3]، فمجمل القول أن المتنبي كان مثقفاً ثقافة واسعة، وتعددت ثقافاته من اليونانية، والفارسية والهندية فكان ذا "ثقافة واسعة بكل ما عرف لعصره من معارف"[4]. أضف لذلك مجالسة الأدباء فقد كان لخلفاء بني العباس دور هام في هذه المجالس يضمون إليها المشهورين من العلماء والأدباء والشعراء فالمتنبي له مجالس عديدة لها تأثير في ثقافته فقد كان تنقله بين المشايخ والأمراء والخلفاء فقد شهد مع شيوخ العرب وشهد مجلس البدر بن عمار وابن طغج ومجالس التنوخيين وكذلك الحسن بن حمدان (أبا العشائر) وفي حلب المجلس الذي شهد له ورأى فيه الكثير والفيض الغزير مجلس سيف الدولة الذي كان أديباً وشاعراً وناقداً محباً للعلم وكان بلاطه يضم أكبر العلماء والأدباء[5].وقد بلغ المتنبي في هذا المجلس المجلس ما بلغ الاعتداد والفخر بنفسه، انظر قوله:

سيعلُم الجمعُ ممن ضمَّ مجلسنا بأنني خيرُ من تسعى به قدمُ
أَنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي وأسمعتْ كلماتي من به صممُ(6)

وكذلك مجلسه عند ابن العميد، فقد كان أديباً وذا رئاسة، وفترة في مصر، لقد كثرت مجالس العلم في قصر كافور وتهيأ للمتنبي أن يقابل شعراء وعلماء مصر ويقيم معهم مناظرات[7]، فلم يكن مجلس كافور بالنسبة للمتنبي بأقل خطراً من مجلس سيف الدولة، وكذلك لقاءه بعضد الدولة فهو يحب العربية وعالم وأديب[8]، كانت هذه المجالس رافد من روافد ثقافته.

ومن هذه الروافد تكونت عصارة الشاعر الفذ المتنبي الذي سار شعره في كل مكان فقد كان شاعراً طموحاً ذا نفس أبية وكبرياء [9] وقد مرت الأزمان ولا زال شعره غضاً نديّاً، إذ أن المتلقي

---

(1)عزام، ذكرى أبي الطيب، ص 223.
(2)الشامي، أحمد محمد ، المتنبي شاعر مكارم الأخلاق، دار البلاغة، جدة 1984م، ص 107.
(3)البصير، محمد مهدي، في الأدب العباسي، مطبعة السعدي، بغداد، الطبعة الثانية 1955م، ص 384.
(4)ضيف، أحمد شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف بمصر، ص 311.
(5)الثعالبي، يتيمة الدهر، ج 1، ص 269.
(6)البرقوقي، ديوان المتنبي، ج2، ص61.
(7)شكعة، أبو الطيب في مصر والعراقيين ، عالم الكتب، بيروت 1983م، ص 362.
(8)البديعي، الصبح المنبئ، ص 161.
(9)العقاد، عباس محمود، مطالعات في الكتب والحياة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1966م، ص 193.

العربي يجد في شعره صور المجد العربي، ونجد أن بعبقريته قد حاز على حب المتلقي العربي الذي حب شعره ، فلا عجب في ذلك، فمن خلال هذا الإنتاج نال المتنبي التميز والرفعة.

وشعره منذ البدء كان يزخر بالفخر والاعتداد بالنفس اعتداداً مفرطاً فهو يرفع نفسه على الناس ومِن حوله وتشغله نفسه منذ الصغر ويرى تميزه قد فآق الجميع، وقد أخذ هذا الأمر حيزاً واسعاً في شعره، فالأنا في شعره واضحة وكان ظهورها مبكراً "كما أكد دارسوه ورأى البعض أن الفقر والحرمان أحد الأسباب التي جعلته يتحدث عن نفسه"[(1)].

قضـــاعة تعلـــم أنـــي الفتـــى الـــذ	**ي ادخــــرت لصــــروف الزمـــــان**
ومجــــدي يــــدل بنــــي خنــــدف	**علــــى أن كـــل كـــريم يمـــان**
أنـــا ابـــن الفيـــافي أنـــا ابـــن القـــوافي	**أنـــا ابـــن السَــروج أنـــا ابـــن الرعـــان**
طـويل النجـاد طـويل العماد	**طويل القـناة طويل السنان(2)**

فقد ذكر (أنا) عدة مرات وذكر مجدي وغيرها وذكره (خندف) افتخاراً بأصله اليماني. وظل ضارباً في هذه الصحراء يبحث عن آماله ويسعى في تحقيقها.

وقد تجول في بلد الشام يمدح الولاة والعمّال، وتعرّف على بدر بن عمار والي دمشق ووجد عنده ما كان يأمله من عطاء كما وجد فيه الأمير العربي الذي يبحث عنه، فخصّه بخير مدائحه في تلك الحقبة ومدح كثيرين غيره ونال جوائزهم وشعره في هذه الفترة كسابقتها يملؤه بالمبالغة والفخر المسرف بنفسه. والأصل أن الشاعر حين يمدح لا يفكّر إلا في ممدوحيه أمّا المتنبي فكانت تشغله نفسه وكان دائم الذكر لها. ومن ثَمّ جعل مدائحه شركة بينه وبين ممدوحيه قال يمدح طاهر بن الحسن العلوي:

حملت إليه من لساني حديقة سقاها الحجى سقي الرياض السحائب[(3)]

المتنبي يمدح نفسه حيث يجعل قصيدة حديقة، وعقله ساقيا لها (سقاها الحجى . . .) فمعانيه أزهار وورود أنفقها الشاعر على ممدوحه فإذا هو كريم كذا المتنبي، وهكذا المتنبي لا ينسى نفسه. وقوله:

لا تطلـــــبن كريمـــــا بعــــد رؤيتــــــه	**إن الكــــرام بأســــخاهم يــــدا ختمـــــوا**
ولا تبال بشعر بعد شاعره قد	**أفســد القول حتى احمد الصمم(4)**

فإنه (لا يترك المدحة كاملة لممدوحه)[(5)]. وهذا مذهب تميّز به مِن بين شعراء العربية. وكان وكان يبث فيه شكواه، وقد رأينا مثلا، أنّ أبا تمام كان ينزع هذا المنزع في بعض مدائحه ولكنّه كان يخلط شكواه بالحبّ، أمّا المتنبي فجعل شكواه خاصّة بنفسه وبأفكاره عن المجتمع وأخلاق الناس مضيفاً إليها ضرباً واسعاً من التشاؤم.

---

(1)الأصفهاني، الواضح في مشكلات شعر المتنبي، تحقيق الطاهر بن عاشور، الدار التونسية 1968 ,

(2)برقوقي، ديوان المتنبي ج2، ص 237.

(3)برقوقي، ديوان المتنبي، ج1، ص، 194

(4)برقوقي، ديوان المتنبي، ج2، ص106.

(5)عبدالله التطاوي، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات مكتبة غريب القاهرة، ص 108.

لقد لبث أبو الطيب في ترحل دائم غير مستقرّ على حال يقصد الممدوحين فيخيبون أمله، فتثورُ نفسه وتتحكّم كبرياؤه ثمّ يعود فيكبتُ النفس الأبية ويمسك كبرياؤه بيَده وتلجئه الحاجة الملحّة إلى معاودة المدح وقد مدح أثناء ذلك اثنين وثلاثين رجلاً بأربع وأربعين قصيدة ومنهم التنوخيون باللاذقية وبدر بن عمار الأسدي ومساور بن محمد الرومي والي حلب وقد نظم في تلك المدة خمس قصائد لنفسه، يعرب فيها عن مطامعه ويفخر ويثور وهي قصائد التي أبانت عن آماله وأوضحت عن أحلام نفسه الكبيرة ولم يُفدْ أبو الطيب من مديحه إلّا العطاء النزْر على كثرة ما بالغ واحتفل. روي الثعالبي: أنّ علياً بن منصور الحاجب أعطي أبا الطيب ديناراً حينما مدحه بقصيدته فسُمّيت القصيدة الدينارّية:

بـــأبي الشـــموسَ الجانحـــات غواربـــا اللابســـاتُ مـــن الحريـــر جلابيـــا
المُنَّباتُ عُقُولنـا وقلوبنا وجَناتهنَ النَاهبات النَاهـبَا(1)

الذي يقرأ الديوان يدرك أنّ المتنبي كان يستعمل هذا الضرب من ذكر الآمال وطلب المجد والسؤدد في أول قصائده التي يمدح بها كما كان الشعراء يستفتحون قصائدهم بالنسيب. في شعر المتنبي أنّه حارب في سبيل غايته، ومن خلال ما أثبته التاريخ أن المتنبي شاعر سما بذكر من مدحهم، وظل اسمهم يتردد، فإذا هم ملوك فهو ملك الشعر وقائد الشعراء كما يرى نفسه، وكما أكَّد لنا تراثه الضخم الذي تركه في الساحة العربية.

ومِن عجب أنّ ذلك الشاعر الطامح إلى الملك والسلطان الذي وسع صدره هذه الآمال الكبار كان فقيراً معسراً لم ينل من حياته عيشاً رغداً يقول في إحدى قصائد صباه:

أيـــنَ فضـــلي إذا قنعـــتُ مـــن الـــدهر وبعـــــيشِ مُعجّـــــل التنكيـــــد
ضـــاق صـــدري وطـــال فـــي طلـــب الـــرزق قيـــامي وقـــل عنـــه قعـــودي
أبـــداً أقطـــع الـــبلاد ونجمـــي فـــي نحـــوس وهمتـــي فـــي ســـعود
ولعـلي مؤمل بعـض ما أبلغ بلطف مـن عزيز حـميد(2)

لم يكن أبو الطيب يتغنّى بالثورة والمجد عبثاً وما كان عاجزاً يمِنّي نفسه بالقول دون الفعل وإنما كان يسعي لآماله سعي المُشيح المجد، فتركّزت آماله في عقله الباطن وراح يعمل على تحقيقها في هدوء ويقين وثقة بالنجاح وقد استمرّ يمنّي النفس ويبسط آمالها سبلَ الأمل الباسم الخلاب حتى قتل الزمان هذا الأمل في رأسه وخياله. فآب صامتاً محتملاً يشكو لنفسه ما ناله من الزمان وأهله، وتتّضح شخصية المتنبي حين نتابعه في حياته وقد رأيناه يخرج إلى البادية في سن مبكرة ويعود في الثانية عشرة من عمره، وعلى ما كان في الكوفة من ثقافات ويتعرّف على كتب الفلسفة العلوم عامة، بكلّ ما قدّمنا نستطيع أن نعرف العناصر التي أسهمت في تكوين شخصيته فهو عربي لحماً ودماً وتستأثر به العروبة إلى أقصي حدّ حتى لتجعله لسانها الناطق بها طوال حياته. ظل يفخر بشعره

(1) الصبح المنبئ، ص422 – الديوان 175/1.

(2)البرقوقي، ديوان المتنبي، ج1 ص32

وما وصل إليه من مرتبة سامية جعلته يتغنى بنفسه من خلال شعره ويرفعها فوق الشعراء. يقول في قصيدة التي بكى فيها جدته.

وإنـــي لمـــن قـــوم كـــأن نفوســـنا بهـــا أنـــف أن تســـكن اللحـــم والعظمـــا
كـــذا أنـــا يـــا دنيـــا إذا شـــئت فـــاذهبي ويـــا نفـــس زيـــدي فـــي كرئهـــا قـــدما
خلا عبرت بي ســاعة لا تُعزُّني ولا صحبتْني مهجة تقبل الظلما(1)

وهي أبيات رائعات يصوّر فيها الأنفة والعزة إلى أبعد حدّ وهو جانب في شعر المتنبي جعله محبّاً لكلّ عربيّ، اذ تتوهّج أشعاره بخصال العربيّ الكريم وما يشعرُ به من العزة والأنفة والإباء والشعور بالكرامة والترفّع عن الدنايا إلى أقصي حدّ وكأنّه ترجمان العرب عن فضائلهم العليا الوحيدة في هذه الصحراء، وبهذه النفس العاتبة كان المتنبي ينظم شعره منذ سال على لسانه في الكتاب معبراً عن الروح العربية التي لا تقهر مهما نزل بها من الكوارث والخطوب كان أبو الطيب المتنبي الشاعر الذي خُلّد مع فنّه الخالد وشعره الشاعر فقد كان شاعراً كما يبيّن في شعره متكبراً أبيّاً معجباً، بَعيد الهمة وكان شجاعاً عظيم الإقدام وقد سيطرت عليه هذه الصفات ولعبت دوراً في حياته، فجعلته متعالياً عن شعراء عصره، فعزف عن مسايرتهم في اللهو والمجون ومعاقرة الخمر وكان كذلك صادق القول، قال على بن حمزة: "انّه لم يكذب قط" [2] ومن آثاره أنه كان ينفر من التكلف ويفضل البداوة على التحضّر. وكان أبو الطيب عدا ذلك حاقداً على الناس يحقرهم ويطوي كشحه لهم على الموجدة والضغينة. وذلك أثرٌ مِن آثار اعتداده بنفسه وطموحه إلى السؤدد ثمّ قصوره عن بلوغ أمله على أنّه، برغم هذا – كان وفيّاً لأصدقائه محبّاً لهم متأسّياً لفراقهم، جازعاً لموتهم. قال في رثاء فاتك:

الحـــزن يقلـــق والتجمـــل يـــردع والـــدمع بينهمـــا عصـــي طيـــع
يتنازعـــان دمـــوع عـــين مســـهد هـــذا يجـــئ بهـــا وهـــذا يرجـــع
النـــوم بعـــد أبـــي شـــجاع نـــافر والليـــل معـــي والكواكـــب ظلـــع
إني لأجبن من فراق أحبتي وتحس نفسـي بالحمام فاشجع(3)

أنه حزين، ينفطر قلبه ألماً وحسرة على ما أمل وفشل، في أحبابه ومعاونيه.

و ممّا أكدته المصادر عن المتنبي أنّه كان حريصاً على علاقته بالإخشيدي ويستعين به على تحقيق آماله الجسام وأحلامه الواسع.

فللمتنبي قيم وآمال في مبدأ الشعر. ولا بدّ أن تكون له طباع طبع عليها ممّا وهبته إيّاها الطبيعة وقد أثِر عنه أنّه فائق الفطنة والذكاء وأنّ له ذاكرة كانت قادرة أن تحفظ عن ظهر قلب صفحاتٍ عديدة تعرض عليه من كتاب ورد في كتاب الصبح المنبئ بديعي قيل: (ما رأيت أحفظ من ابن عيدان قط) [4]. ولسْنا ندري كيف يقدّر قدر الذكاء وكيف تتميّز الذاكرة عمّا دونها، وهذه أمور

---

(1)برقوقي، ديوان المتنبي، ج2، ص 176
(2)البديعي، الصبح المنبئ، ، ص94
(3)البرقوقي، ديوان المتنبي، ج2، ص9
(4)البديعي، الصبح المنبئ ص20.

لها حسابات سيكولوجية وراثية يعوّل او لا يعوّل عليها. لم تسجَّل الكتب كما أسلفنا ماضي الأسرة لشاعرنا بل كل الذي ورد أن اباه(سقّاء) وليس له عمل كصناعة السيوف والرماح والخمرة والآجلة وكلّ ما يتعلّق بالإنسان البدوي.

و نحن إنّما نُشير إلى ذلك في هذا المقام لنفيد منه دلالة وراثية أو عائلية أو بيئوية وهي أنّ والده ما كانت تحفّزه الحوافز العليا كابْنه والمهنة التي ارتزق بها كانت الأدنى. ومن هذه الظاهرة قد يمكن القول أنّ ثمة تناقضاً حاسماً بين الوالد والولد. فالوالد أسلس قياده لقدره والابن ما كان يسلس الأمر.

وكان يكاد لا يحلّ في مكان حتى يرتحل عنه ولا تطيب له حالة حتي ينبو عنها وما كانت تعجّبه مرتبة ما، فيقفُ عندها ويرضي بها على أنّها نهائية. فكلّ ما سعي إليه المتنبي وما أدركه كان يحسبه مؤقتاً وحياته كلّها كانت مؤقتة يترقب من خلالها زمناً آخر يكون هو زمنه الحقيقي وتتحقّق فيه حياته الفعلية التي يريدها. إلا أنّ المراجع لا تفيدنا عن ذلك بيقين نطمئنّ إليه، وأحد الدارسين لقي نسخة خطية بدار الكتب المصرية من ديوانه.

وفيها إشارة تقول إنّه كان من أوسطهم حسباً. والنقد الداخلي لسيرة أبي الطيب يؤكّد لنا ذلك ولو أنّه تحدّر من صلب والد كبير النسب والحسب لملأ عليه الآفاق فخراً، كما فعل الفرزدق حين أطبق على الكون كلّه على صنّاجة فخرية ذات صحب. فكلّ مرة يقتضيه أن يفخر بوالده فإنّه يرفّ على ذكره بجناحٍ رفيق ويعبّر إلى تمدّحٍ آخر بنفسه. والقول عندنا أن المتنبي بنى شخصية متفردة بنفسه ويقول:

مـــا بقـــومي شـــرفتُ بـــل شـــرفوا بـــي **وبنفســــــي فخـــــرتُ لا بجـــــدودي**
وبهم فخرُ كلّ مَن نطـق الضاد **وعوذ الجاني وغوث الطريد (1)**

أو قوله في رثاء جدته:

ولو لم تكوني بنت أكرم والدٍ **لكان أباكِ الضـخم كونكِ لي أُمّا(2)**

ما كان أمر النسب هيّناً على المتنبي وإن لم يكن يصرّح بذلك في تصريح نُقل عن الرواة ونحن نستطلع ذلك من خلال مدائحه وما لعنصر الأصل فيها من أهمية حتى إنّها كانت تكون من صلب القصيدة عند سيف الدولة وذكر الحمدانيين أبا وأخاً وجداً بل أجداداً ولم تكد تخلو منه قصيدة في مدح سيف الدولة، وكذلك فإنّه حين ألمّ بعضد الدولة كان مدحه بذاته يجري مع مدحه بشقيقه وأبيه وأجداده وحتى بأبنائه ويبدو إنّه كان لعضد الدولة ابنان وحسب وكان المتنبي يتوسّم فيهما النجابة وإنّهما حرّيان أن يكملا سيرة والدهما وأجدادهما، قال:

وكـان ابنا عدو كاثراه **لـــه ياءي حروفِ أنيسيان (3)**

---

(1)برقوقي، ديوان المتنبي، ج1، ص 33

(2)البرقوقي، ديوان المتنبي، ص170

(3) الديوان ج2، ص290.

وحين لجأت به الحيلة في مدح كافور بأصله ابتدع تأويلات جدلية هزلية في تبرير السّواد والنهود من الذات وما أنسبه. إنّه ينجذب عن المعاني ويميل إلى الصور الحسية التي تغدو رموزاً كبرى في متون قصائده. ومن خصائص الرمز الفني أنّه إذا تكرّرت الصورة في شعره فأنّها تغدو محوراً له وتغدو رمزاً سمت به التجربة إلى الذروة العليا.

لا بدّ لنا أن نتناول هذه الظاهرة عند المتنبي على أنّها رمز كبير وعندها تسمو وتصفو وترفع مستوى الإبداع عند الشاعر وتكون في الآن ذاته من الداخل والخارج، وأفضل شعره ما كان وجدانياً وإنّ الوجدانية لا تدرّ للمتنبي إلا حين تتّحد عنده الذات مع الموضوع وأهمّ ما يكون ذلك في تلك المقاطع التي تطول وتقصر عنده في تمثيل قيام الشاعر بدعوته ونشرها وإنّه نال غايته فيها وإنّه بات قائداً روحياً أمثال الدعاة الكثيرين في عصره من الشيعة والإسماعيلية وبخاصة من القرامطة يبدو أنّ المتنبي كان يعدّ نفسه لمهمته ويقرأ عليها لعلّها كانت كتباً ممّا تسيّر في زمنه: ديانات وفقهها ودواوين شعريّة وأراجيز وعلم اللغة وتاريخ وفلسفة ورياضيات. وشعره يبيّن لنا أنّه كان عميق الثقافة في آداب عصره وعلومه وما كان العلم يومها متخصصاً بل إنّ المتعلم يتعلم العلوم والآداب كلها في فروعها كلها. والشعراء العرب ومن بينهم، المتنبي– كانوا يتبدّون في البادية أزماناً تطول وتقصر وفقاً للشاعر وقدرته على تملك اللغة وإساعتها وقدرته على النظم. قال بلاشير: أنه عاد "من هذه البادية متضلعا من معرفته بها"[1]

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه فإنك معطيه وإني ناظم (2).

وماذا تعني عبارة (بدويّ قحّ)؟ النقّاد يرون إنّه امتلك اللغة على عباراتها وصيغها. وهذا أمرٌ موكّد وضمني.

إلا أنّ التبدّي لا يقتصر أمره على اللغة، إنّه يكسب حياة كاملة قائمة بذاتها بتقاليدها وعاداتها وترابها وصحرائها ورمالها وعشبها وحيواناتها وطيورها وشمسها ومغيبها ورياحها وأنسامها وطرقها وكلّ ما يمكن أن يكون خاصاً بتلك الحياة، وهذه الخبرة في طبيعة البادية وحياتها وتقاليدها وأعراضها لا تقلّ أهمية من اللغة ذاتها بل أن اللغة ذاتها تتغذى من تلك الخبرة. وغايتنا من ذلك أنّ نقول إنّ المتنبي كسب من الصحراء فضلاً عن الذائقة اللغوية واللّاوعي اللغوي الحيّ، خبرة حسّية ونفسية بالمادة وهذه الخبرة كونت عنده مادة للتجسيد، حين يستفيض في معاناته ولا يقيم لها عبر الإطار الذهني والفكري على المعاني، ونحن لا نذهب إلى أنّ المتنبي اختزن الحسية كلّها مِن تبدّيه في بادية وإنما يخيّل إلينا أنّ الخبرة الحسية، تظل الأعمق والأبقى والأدق في الوجدان وفي العيان. والشعر الفاقد الخبرة الحسية إنّما يحول إلى هباءٍ من العواطف المندثرة. كان المتنبي بعيد الطموح الشديد العصبية معتدّاً بنفسه يتعاظم على الناس. ولقد غفر الدارسون له ذلك عند الكلام على صفاته؛ لأنّه كان فارساً شجاعاً بعيد التفكير، واسع المعرفة، وفيّاً لمَن عرفهم عفيفاً النفس واليد. وحق لمن يمتلك هذه الصفات أن يفخر بها.

---

(1) ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين، ترجمة: أحمد بدوي، مكتبة النهضة مصر، ص 107

(2) مقدمة الديوان ج1 .

ثالثاً: الفخر بالذات في شعر المتنبي

مفهوم الذات:

تكاد معاجم اللغة العربية القديمة والحديثة تتفق على مصطلح الذات، بمعنى: (الحال، وبيان الحال وحقيقته)، قال تعالى:(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) الانفال:1أي: حقيقة وصلكم، وتأتي أيضاً بمعنى:(النفس). وجاء في المعجم الوسيط" الذات: النفس والشخص، يقال في الأدب: نقد ذاتي يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته"[1]

الذات مصطلح نفسي تداوله خبراء علم النفس في كثير من المؤلفات و الدراسات والنظريات النفسية، ولكن تعريف مصطفى فهمي أوضحها في قوله " الذات فكرة الشخص عن نفسه، وهي نظرة الشخص إلى نفسه باعتباره مصدر الفعل"[2] من خلال ماسبق نرى مدى الارتباط الوثيق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

تمتعت شخصية المنتبي بمظاهر الشمائل الأنسانية، والقيم العربية الأصيلة، والصفات الفريدة ، والمميزة بمظاهر نابعة من الذات التي تمتلك زمام المبادرة ناحية المجد والعلا ؛ فكان لابد لتلك الذات الشخصية من دراسة تستحقها

مفهوم الفخر:

فخر :تمدّح بالخصال وباهى بالمناقب والمكارم مِن حسب ونسب[3].من ذلك ما أنشده ثعلب[4]:

فأصبحتُ عمراً وأعميتُه عـن الجود والفـخر يوم الفخـار

الفخر اصطلاحاً:

هو تمدّح المرء بخصال نفسه وقومه والتحدّث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عنصرهم ووفرة قبيلهم ورفعة حسبهم وشهرة شجاعتهم

في العصر العباسي برز الفخر في أشعار الشعراء العباسيين،كان يدور حول الفخر بأنفسهم وبشعرهم وبطولتهم وشجاعتهم. وحينما كان الشاعر يمدح والياً وحاكما يتكلّم عن نفسه وشعره وشجاعته خلال أشعاره مثل المتنبي– أبو فراس– أبو العلاء المعرّي–الشريف الرضي.

أما الفخر عند المتنبي مجسداً في (أنا) كثيرةً في ديوان المتنبي وهي مبثوثة في جميع قصائده تقريباً، وإن لم يستقل بواحدة منها، فأبو الطيب يفخر في جميع أحواله سواء رثي أم مدح أم هجا أو تغزّل أم شكا، ولا عجب فهو لا يرى له مثيلاً في الوجود، يرى نفسه فوق الجميع ويكاد لا

---

(1) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، مادة ذات، 2004م، ص1356

(2) د. مصطفى فهمي، التكيف النفسي ، مكتبة مصر ، دار الطباعة الحديثة، ص111

(3)ابن منظور، لسان العرب، مادة فخر ص84.

(4) الحموي ، ابن حجة ، خزانة الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت ،ج2،ص354

يعرف في الأرض سواها. أحسّ بعظمة شخصيّته وقدر صفائه. من أنفة وعزّة وشاعرية حق قدرها، «زدْ على ذلك اشتهار أصله العربي بالفصاحة والبيان وقبيلته اليمنية بالفروسية والشجاعة. وكان له أيضاً من نشأته البدويّة ما مكّن فيه نزعة المفاخرة حتى أصبحت فيه طبعاً ومن معاكسات الزمان ومناهضة الحسّاد. ما جعله يعمد إلى الفخر تفريحاً وتعزية للنفس.

كانت روح الفخر –و الفخر بنفسه– شائعة في جميع أغراض شعره فهو لا ينسي نفسه حين يتحدّث عن أيّ غرض شعريّ فقد كان صريحاً جريئاً في التعبير عنها وأثناء قراء تنا لقصائده الفخرية فإننا نتلمّس فيها روحه وطموحه، وقد ألبس نفسه ثوباً فضفاضاً من الفخر. قال:

وليفخـــــر الفخـــــر إذ غـــــدوت بـــــه　　مرتـــــــــدياً خبـــــــــره ومنتعلـــــــــــه

أنـــــا الـــــذي بـــــين الإلـــــه بـــــه الأقـــــدار　　والمـــــــــرء حيثمـــــــــا جعلـــــــــــه

جوهرة يفرح الكرام بها　　وغصة لا تسيغــها السفلة(1)

كان المتنبي متعاظماً شديد الذهاب بنفسه لا يرى أحداً مثله. وقد ملأ قصائده بالفخر حتى تلك التي كان يلقيها بين يدي الممدوحين وربّما رفع نفسه فوقهم. كان المتنبي يفتخر بنفسه يفتخر بعفّته ووفائه وعزمه وبنفوذ بصره في الأمور كما كان يفتخر بشعره ويجعل معاني الشعراء المعاصرين والمتقدمين وكان من أشهر من تفاخروا بكل شيءٍ في شعرهم. قال:

ما نال أهل الجاهلية كلم شعري　　ولا سمعت بسحري بابل(2)

قلَّ فخر المتنبي بقومه وإذا فخر بهم أوجز وأجمل لقلة ما عُرف عن آبائه الأقربين من المآثر ولذلك حصر فخره في نفسه وعزمه وصبره وخبرته حيث يقول:

كأنّي دحوتُ الأرض من خبرتي بها كأنّي　　بني الإسكندر السدّ من عزمي (3)

وهو يحبّ أن يتمثل بهذا فيصف نفسه في المعمعة يوقع بالعدو المذعور بالسيف والرمح وكم تسمعه يتغنّى بشاعريّته ذاكراً مقدرته في الشعر وانقياد القوافي له. حيث يقول:

أنام ملء جفوني عن شواردها　　ويسهر الناس جرّاها ويختصمُ (4)

ويذكر ايضاً سيرورة شعره قائلاً:

وما الدهر الا من رواة قصائدي　　اذا قلتُ شعراً أصبح الدّهر منشداً(5)

لقد برعَ المتنبي في ميدان الفخر وذكر(الأنا) واستطاع أَن يرفع نفسه ومن فخر بهم إلى مراكز مرموقة لم يصل إليها غيره من الشعراء نستطيع أن نقسّم فخر المتنبي إلى قسمين:

أ/ فخر تقليدي:

كانت الفروسيّة عماده ولذلك جري الحديث عن القتال والشجاعة والبطش والتضحية والدّماء والنصر ولجأ المتنبي في تناول المعاني السابقة إلى شيءٍ من المبالغة فيها وهو أمر طبيعي يصيب

---

(1)برقوقي، ديوان المتنبي، ج2، ص 280.
(2) ديوان المتنبي، ج2، ص 267
(3) المصدر نفسه، ج2، ص
(4) المصدر نفسه، ج2، ص 63
(5) المصدر نفسه، ج1، ص140

الشعراء عند الإحساس بمشاعر الانتصار. او عند التحقق من هزيمة العدوّ وفراره من أرض المعركة. وما أعذب شعره وهو يرسم (سيفياته الحماسية التي نسجها على هفوف الصحراء، ومزجها بحمحمات الخيل صافقة سناكبها على درب الروم ومزج هذه الصور بصليل السيوف وضجيج الحرب وعجيج الغبار)[1].مثل هذه الأبيات الّتي يتحدّث فيها عن بطولته وجرأته وتفوّقه:

تمرّستُ بالآفات حتى تركتُها ... تقول أمات الموتُ أم ذُعر الذُعُر
وأقدمتُ إقدام الآتيّ كأنّ سوى ... مهجتي أو كان لي عندها وترُ
ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما ... المجد إلا السيف والفتكة البكر(2)

ب/ فخر وجداني:

كانت الذاتية محوره في اكثر الأحايين واهتمّ المتنبي فيه بالحديث عن مكارم الأخلاق والخصال الحميدة وحُسن التصرف والسلوك والترفع عن الدنايا. قد شاع هذا الأمر في شعر المتنبي وظهرَ بشكل أكثر وضوحاً في كلّ مراحل شعره. اِنّ فخر المتنبي الوجداني قد تميّز بميزة التجديد وكان هو الأفضل شعراً ومثاليّة وعظمةً خصوصاً واِنّ الحكمة قد تخلّلت الكثرة المطلقة من قصائده وهذا أمرٌ لم يتحقّق من قبل على يدِ أيٍّ من الشعراء. قال:

أنا صخرة الوادي اذا ما زوحمت ... وإذا نطقتُ فإنّني ذرا الجوزاءُ
وإذا خفيت على الغبي فعاذر ... أن لا تراني مقلة عمياء
شِيَم الليالي أن تشكّ ناقتي ... صدري بها أفضي أم البيداءُ
فتبيتُ تُسئدُ مسئداً في نيّها ... إسآدها في المَهمة الأنضاءُ
أنساعُها ممغوطةٌ وخفافها ... منكوحةٌ وطريقها عذراءُ(3)

الشاعر كما ترى في هذه الأبيات يفخر بنفسه مقتصداً في الفخر ولكنه اقتصاد لا ينبغي أن يخدعنا عن امتلاء الفتي بنفسه فهو اقتصادٌ في الألفاظ لا في المعاني. «فالشاعر صخرة تزحم من يزاحمها. والشاعر نجمٌ بل هو الجوزاء بين الشعراء فإذا لم يفطن الأغبياء والجهّال لمكانة فهو عاذرٌ لهم. وهل على الأعمى حرج أن يراه. ولكن انظر إلى تصوير الشاعر ولهمّه البعيد وأمله العريض وصدره الواسع كيف ذهب فيه هذا المذهب اللّطيف فأشرك ناقته في التفكير وأشرك الليل في العمل.

الّذي نراه اَنّ دواعي الفخر والعُجب بالنفس وفيرة كثيرة يرجع بعضها إلى المجد التليد وبعضها إلى ما يكتسبه المرء حديثاً من محيط حياته. والمجد المكتسب اكثر إثارة للفخر والعجب من المجد الموروث؛ لأنّه نتيجة كفاح وبذل وتضحية أو نتيجة ذكاء وعبقرية لَم يرثه المرء مرتعاً خصباً غرسه له. ومِن ثَمَّ فإنّه يغري المرء بالِاعتزاز بنفسه التي استطاعت أَن تشقّ طريقها في الحياة إلى غاية جلية مرموقة بينما غيره من الناس يتساقون دون تلك الغاية إعياءً وعجزاً أو تهاوناً واتكالاً أو حمقاً وجهلاً. ومن ثَمّ فعُجب المتنبي بنفسه وتغنيه بسبقه ليس ستراً لنقص وتغطية لضعفه وغروراً

(1)زكي المحاسني، شعر الحرب في ادب العرب دار المعرف بمصر، ص163
(2) ديوان ج1 ص178
(3) ديوان ج1، ص 102

زائفاً كما يروق لبعض الناس اَن يقولوا. ولكنّه فخر يستند إلى أسس واقعية تدفع إليه دفعاً. ومن هذه الأسس التي نراها مبرّراً للفخر والتغنّي بحسن الصيت:

1. قوة الشاعريّة، فقد سبق شعراء جيله واعترفوا له بالسبق والتقدّم.
2. اتّساع دائرة المعارف، فقد كان طلعة يلتهم الحكمة أنَّي كانت وأنّي كان مصدرها فهو ضليع في اللغة، بصير بالفلسفة خبير بالآداب.
3. اتّصاله بسيف الدولة الحمداني وغيره من الحكّام والوُلاة وحرصهم على الاستئثار به والتفرد به دون من عداهم من الولاة والأمراء.
4. تقديره لخطورة الرسالة التي يقوم بها وهي بعث المجد العربي وإحياء ما اندثر من سلطانه وتقلّص من ظلّه بينما غيره من الشعراء يلهو ويمرح دون اَن يهدف إلى غاية او يرمي إلى مأرب.
5. اعتزازه بفروسيته وخوضه كثيراً من المعارك مع سيف الدولة وثباته وسلامته حينما انهزم الناس اَو جندلتْهم السيوف اَو وقع كثير منهم في ذلّ الإسار.
6. احترامه لنفسه الّتي عزفت عمّا تهالك عليه الشعراء من لهو وعبث ومجون وفسق فرأي في نفسه طرازاً لا يجانسهم ولوناً لا يمائلهم فاستخفّ بهم وبِمَن شاكلتهم ممّن قطعوا الحياة لاهين.
7. سلامته على رغم ما نصب له من أشراك وألقي عليه من شباك ممّا يقنعه اَو يوهمه على الأقلّ أنّه اَوسع مكراً وأشدّ كيداً وأقوى حيلة ممّن فلتَ من أيديهم ككافور وجنوده.
8. تهالك رؤساء الزمان على استدعائه واستزارته كالصاحب بن عبّاد. وخوف ابن العميد منه اَن يتجاهله ولا يحطّ رحاله بساحته.
9. توسّط الأمير أبي محمد الحسين بن طغج له في مدح عبد الله بن طاهر. تلك الوساطة الّتي تشعره بحرص الناس على تسجيل أنفسهم في أدبه وعلي لسانه ممّا يعطيه صورة عن نفسه أنّه محلّ الطّمع ومنتهي الرّجاء.
10. جلوس عبد الله بن طاهر بين يديه مجلس المادح من الممدوح وجلوسه مادحاً بحضرة سيف الدولة وعدم تكليفه تقبيل الأرض بين يديه.

فان اعتزّ المتنبي بتلك الشاعرية الّتي سمت به إلى كلّ ذلك أو تغنّي بغيرها من مقوّمات شخصيته فإنّه تغنّ بما تحقّق في واقع الحياة. وليس أملا يراود خاطراً لكيلاً أو عزماً بليداً. وهو تغنّ بما كسبه بنفسه وحققتْه يده لا بما ورثه عن أب أو تلقّاه عن جدّ. والناس أكثر تقديراً للعِصاميّين الّذين شقّوا طريقهم في الحياة بأنفسهم.

شرح وتحليل بعض القصائد الفخرية في ديوان المتنبي:

حينما تنظر بدقةٍ في ديوان المتنبي وتطالِعُه تجد قصائد وأبياتاً في موضوع الفخر كثيرةً جدّاً. كان المتنبي يفتخر فيها بمضامين مختلفةٍ كما أسلفنا. نسعي في هذا المجال أن نذكر القصائد الفخرية

ونشرحها باختصار ونحصي عدد الأبيات والقصائد التي ورد الفخر فيها، في ديوان المتنبي وهي أكثر من عشرين قصيدة فخرية.

الاعتزاز بشعره:

أمّا فخره بشعره، كما قدّمنا– فهو متناثر في عدّة قصائده وحتّي أنّ الكثير منه يأتي في نهاية القصائد المدحية. في هذا الصدد نستطيع أن نشير إلى القصيدة الّتي يمدح فيها بدر بن عمّار وهي تتكوّن من ستة وأربعين بيتاً وأبيات الفخر فيها أربعة أو أكثر.

أرى المتشـــــاعرين غـــــرّوا بـــــذمّي ومَـــــن ذا يحمـــــد الـــــدّاء العضـــــالا
ومَـــــن يـــــك ذا فـــــمٍ مُـــــرّ مـــــريضٍ يجـــــد مـــــرّاً بـــــه المـــــاء الـــــزّلالا
وقـــــالوا هـــــل يبلّغـــــك الثريـــــا فقلـــــتُ: نعـــــم إذا شـــــئتُ اســـــتفالا
جواب مُسائلي ألَهُ نظيرٌ ولا لك في سؤالك لا ألالا (1)

وقوله (المتشاعرون) المتشبّهون بالشعراء (الدّاءُ العضال) الذي لا دواء له. (الزّلال) الذي يزلّ في الحلق لعذوبته مثل السلسال– الثريا: يقال هي ستّه أنجم.

المتنبي يقول في هذه القصيدة أنّه محسودٌ بسبب سيرورة شعره وحينما رأى المتشاعرون والمتشجعون بالشعراء يذمّونه يفتخر بشعره ويذكر أنّهم يجهلون مقداره فهم يحسدونه وأشار أنّ مَثَلهم كمثل المريض الذي يجد الماء الزلال مرّاً من مرارة فمه وهم يذمّونه لنقصهم وقلة معرفتهم به وبفضله وبشعره ولقد جوّد في هذا المعني؛ لأنّ المريض يجد كل حلوٍ وطيّب في فمه مرّاً نغصاً فالمرارة في فمه لا من الشيء يدخله وإنّما العيب فيه لا من الدواء. فأبو الطيب والأعداء كذلك وهو من قول الحكيم: «النفس الكريمة ترى الأشياء حسنةً». «ويرى الشاعر نفسه فوق الثريا؛ لأنّه أعلي منهم درجةً ورفعة ونرى في البيت الآخر باب التقديم والتأخير وأراد: لا ولا لك ضرورة كقول الآخر :

عليك ورحمة الله السلامُ» ومثله قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّماً}[2] والتقدير: قيّماً ولم يجعل له عوجاً، وقوله: {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى }[3] والتقدير: «لو لا كلمةٌ واجلٌ مسمّي... » يقول إذا سأله سائل فقال: هل له نظير؟ فجوابه لا ولا لك نظير في سؤالك عن هذا؛ لانّ أحداً لا يجهل هذا غيرك فإذا أنت في جهلك بلا نظير وكرّر النفي بقوله «ألا لا » إشارة إلى أنّ جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه.

تعظيمه نفسه:

رأينا أبيات فخرية في القصيدة باسم «لك يا منازل» والتي يمدح الشاعر القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسين الأنطاكي تشتمل على اثنين واربعين بيتاً ويفخر الشاعر في خلال الأبيات المدحية بنفسه وعظمته. منها:

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي كاملُ

(1) ديوان المتنبي، ج2، ص220.
(2) سورة الكهف، الآيتان 1–2.
(3) سورة طه، الآية129

يقول إذا ذمّه ناقص كان ذمّه دليل فضله؛ لأنّ الناقص لا يحبّ الفاضل لما بينهما من التنافر. هذا من قول أبي تمّام:

لقد آسف الأعداء فضل ابن يوسف وذو النقص في الدنيا بذي الفضل مولَعُ

أخذه هو من قول مروان بن أبي حفصة:

وما ضرَّني حسدُ اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسدهُ ذَوُو التقصير

وأصل هذا من قول الطرّماح:

وقد زادني حبّاً لنفسي أنّني بغيضٌ إلى كلّ امرئٍ غير طائلِ
وأنّي شقيٌّ باللئام ولا ترى شقيّاً بهم إلا كريم الشمائلِ[1]

الفخر بالمعالي:

قال القصيدة وقد كسبت أنطاكية وقتل المهر والحجر، تشتمل على تسعة أبيات في تحسين الصفات الحميدة والمعالي، وفي خلالها يفتخر بهذه الصفات :

إذا غامرتَ في شرف مرومٍ فلا تقنع بما دون النجومِ
فطعم الموت في أمر حقيرٍ كطعم الموت في أمر عظيمِ
يرى الجبناء أنّ العجزَ عقلٌ وتلك خديعة الطبع اللئيمِ
وكلّ شجاعةٍ في المرء تُغني ولا مثلَ الشجاعةِ في الحكيمِ
وكَم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيمِ(2

(غامرت) رميتَ نفسك في الأمور المهلكة، المغامر الملقي بنفسه في الغمرات، (مَروم) مطلوب، رام الشيء: طلبه، (السقيم) القاصر، الذي لا نفع فيه أو فائدة منه، الجبان: نقيض الشجاع.

يقول: إذا طلبتَ شرفاً فلا تقنع بما دون أعلاه ولا ترض بالسير منه. وأنّ طعم الموت في الأمر الهيّن كطعمه في الأمر الشديد الصعب، وإذن فلا سبيل للمغامر إلا أن يقصد أسمي الأمور. لؤم طبع الجبان يريد العجز عن اقتحام العظائم في صورة العقل حتى يظنّ أنّ عجزه وجريه على حكم الجبن عقل، وليس الأمر كذلك وإنما ذلك لسوء طبعه الرديء وصغر همته. والشجاعة كيفما كانت وفي من كانت مغنية كافية وإذا كانت في الرجل الحكيم العاقل كانت أتمّ وأحسن لانضمام العقل إليها والمعنى أنّ الشجاعة في غير الحكيم ليست مثل الشجاعة في الحكيم.: أي ولا مثل الشجاعة في الحكيم موجودة.

ونري في القصيدة الأخرى الفخر ببعض المكارم. قال يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاث مائة (954م) وفي مطلعها يفتخر بصفات العالية وهي العزيمة والإرادة القوية في أهل العزائم:

علىَ قدرِ أهلُ العزمِ تأتي العزائمِ وتأتي علىَ قدرِ الكرامِ المكارمُ
وتعظُمُ في عَيْنِ الصَّغيرِ صِغارُها وتصغرُ في عين العظيم العظائمُ

---

(1)للبديعي، انظر هامش الصبح المنبئ، ص190 – ديوان المتنبي، ج2، ص267.

(2) ديوان المتنبي، ج2، ص180.

يقول: العزائم إنما تكون على قدر أصحاب العزم فمَن كان كبير الهمة، قويّ العزم عظم الأمر الذي يعزم عليه. وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها فمَن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرمات أعظم الرجال والمعنى أنّ الرجال قوالب الأحوال، فإذا صغروا صغرت وإذا كُبروا كُبرت، إلى قوله:

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه فإنك معطيه وإني ناظم(1)

وقوله:

ومـــا الحيـــاة ونفســـي بعـــدما علمـــت إن الحيـــاة كمـــا لا تشـــتهي طبـــع
لـــيس الجمـــال لوجـــه صـــح مارنـــه أنـــف العزيـــز بقطـــع العـــز يجتـــدع
أأطـــرح المجـــد عـــن كتفـــي وأطلبـــه وأتـــرك الغيـــث فـــي غمـــدي وانتجـــع
والمشرفية لا زالت مشرفة دواء كل كريم أو هي الوجع(2)

كان ديدن المتنبي وآراؤه في الحياة تحمل هذه المعاني، وكان المتنبي يحسبُ الفخر بالنسب والآباء وسيلة للذين غلبَ عليهم المفتخرون بالنسب والآباء وللّذين هم مقهورون عندهم. «و هو معتقد بأَنّ الفخر بالآباء والنسب مبيّن نهاية العجز في إنسانٍ وكأنّه غاص في بحر الفخر بنفسه غوصاً عميقاً بحيثُ لم يظهر في التاريخ نسبُه وأسرتُه وهل كان من عرب قحطان اَو عدنان؟

هذا هو المتنبي شاعر القوة والعبقرية وهذا هو عقله اللّماح وقلبه النبّاض وخياله الخلاّق ولسانه البليغ. هذا هو الرجل الذي ملأ الدنيا وشغل الناس في حياته وبعد مماته وكان بوقاً وجرساً في أُذن الأجيال يستحثّ الهمم ويدعوا إلى القمم.

(1) ديوان المتنبي ج2، ص226.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص234.

خاتمة:

كان أبو الطيب من أشهر من تفاخروا بكُلّ شيءٍ في شعرهم. ونري أنّ المجد شغلَه منذ صباه فلم يحفل بالملاذ ولم يغره الحبّ ولم يشرب الخمر واعتنق سيفه وصحب رمحه وحصانه سعياً وراء تحقيق المطامح الكبرى. «و لقد حفل شعره بفخره وخاصة المديح والهجاء وبعض القصائد المستقلة. كان يعتقد أنّ المديح مجرّد عمل ككلّ الأعمال يضمن به رزقه يفي به الممدوح حقّه وليس ملوماً بعدئذٍ أن افتخر بنفسهِ، فهو أبداً بين آمال رحبة وخيبة قائمة تجسّم له مخيلته الجبّارة رغائبه فتعظم بحكم الحال فشله ويتناهى به طموحه وطمعه إلى حدود لا تنال فتتنكّر له الاحوال ويبقي من دونها كاسفاً، مقيداً، ساخطاً، عاجزاً عن تحقيق المآرب.

و قد يتوفّق إلى بعض الحظّ، فيحسب نفسه قد أضحي سيّد الكون وإنّ بين يديه قوة قهّارة مزيدة لا يستطيعها غيره ويحسب أنّه فاق الجميع وقادر على كل شيءٍ وإنّ كلّ ما يريده طوع مشيئته ويمضي على هذا النحو من المغالاة مسرفاً في الاعتداد بنفسه إلى ما لا يتصوّره عقل. ولا يرجع عن غوايته وأوهامه حتى يصطدم بالحقيقة المفجعة وسرعان ما يصطدم بها فيعود إلى حاله من الألم والفجيعة ولكنّه لا يرتدع بذلك بل يصرّ على غروره.

و يعود إلى الاعتداد بنفسه واذا هو فرد الزمان وعنوان الحزم والعزم وليس له في الوجود مثيل وهو وحده رجل الفهم والعقل وكلّ ما خلق الله ومالم يخلق محتقر في همّته كشعره في مفرقه وهو في قومه كصالح في ثمود يسير «لا مستعظماً غير نفسه» ولكنّه يجد ذاته في اضطرارٍ إلى مداجاة ذوي السلطان وقد لا يكون لهم من فضل سوي أنّهم خلقوا فيستجدُّ بهم ويتذلّل عند أقدامهم ويبيع ماء وجهه على الممدوحين على حدّ ما يقول طه حسين. هو أيضاً في نظر نفسه منفرد في الشعر هو وحده الشاعر و(الآخرون الصدى) بل هو ربّ القوافي. و إلى جنب هذا كلّه يرى أنّ ممدوحيه يزجّونه مع رعيل سائر الشعراء.

ونري في نفسه قلقاً واضطراباً وإن لم تتوضّح علّتها وقد أُوتي عبقرية باكرة فكانت عليه وبالاً فقد رأي نفسه في حداثه سنّه، يمتاز عن أترابه في كثير من النواحي وكان ميّالاً إلى المجد والسؤدد، وكانت مخيلته بمستقبل زاهر وبرز له من الآمال والأحلام الذهبية ما يحسب معها نفسه في أزهي نعيم، فأقبل على الحياة في نهم ولهفة. يريد أن يتمتّع بها ملءَ صدره وقد ترقب منها نصيباً وافراً فذّاً يفوق بكثير نصيب لذاته.

كان المتنبي يعتقد ويمني نفسه كثيراً، ويباهي الناس بفضائله وهو فارس وشجاع ومتكبّر وهو دائماً يتحدّى الناس في عصره. كان يفخر بأنّه أفضل من كلّ فكرٍ ولا أحد فوقه وليس مثل أحدٍ:

وما أبعد العيب والنقصان من شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم

وهو أيضاً يحسب نفسه مثل الذهب بين الرغام والتراب (بين الناس في عصره):

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدنُ الذهب الرّغامُ

كان المتنبي يعتقد أن الموت أفضل من الذّلة والشرف أعلي من الرذيلة والدنائة:

وأطلبُ العزّ في لظي ودَعِ الذُّلَّ ولو كان في جنان الخلودِ

وهو أيضاً يفضّل القوّة والفروسية من القلم والكتابة:

حتّي غدوت وأقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلمِ

والمتنبي لا يحبّ أن يفخر بشيء غير أعماله ونرى أنّه لا يفخر بأجداده وآبائه بل يعتقد أنّهم ليفتخروا به :

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي.

وأيضاً لا ينشد قصيدة في تحميد أبيه ومدحه ورثائه بعد وفاته؛ لأنه يعتدّ بنفسه كثيراً جدّاً. جاء في التاريخ أنّ للجرير أبٌ ساذجٌ وغير متكلّف امّا نرى في أشعاره إنّه مدح أباه بألفاظ والقاب حسنة وذكر له الفضائل والأخلاق الحميدة بحيثُ تحسبُ أنّ أباه خلَقه من جديد فلهذا كان شعره أفضلَ من كبره وغروره. أمّا المتنبي فشعره لم يستطع أن يغلبَ ويسلّط على كبره وغروره!

أنا ابن من بعضه يفوق أبا الباحث والنجلُ بعض مَن نجلَه

نتائج الدراسة:

- كان المتنبي يتغنى منذ الصّبا بإنيّته، وظلت بذور الفخر تنمو في حياته وتتضخم في شاعريته.
- لم يخصص قصيدة واحدة لهذا الموضوع، وإنما جاء فخره في الأغراض الأخرى كالمديح والرثاء، ونجده يقحم نفسه في القصائد جميعها، ويزج نفسه بها حتى باتت تلك عادة معروفة عنده.
- ظل الشعور بالعلو والسمو على الآخر هاجس الأنا لدى المتنبي، مهما عظم شأن الآخر وكبر.

المصادر والمراجع:

- أبو الطيب في مصر والعراقين، مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت 1983م.
- أمراء الشعر العربي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1975م.

– تاريخ بغداد ، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ،تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ط1.

- ثقافة المتنبي، فاروق حسان، دار العلم والإيمان، الطبعة الأولى 2008م.

– حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ، يوسف خليف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 1995م.

– ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين، بلاشير، ترجمة: أحمد البدوي، مكتبة النهضة ، القاهرة، ط1.

– ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين، ترجمة:أحمد أحمد بدوي، مكتبة النهضة مصر .

– ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن سيد أحمد البرقوقي، دار الكتب العلمية بيروت، 1930.

– ذكرى أبو الطيب، بعد ألف عام، د. عبد الوهاب عزام، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط1، 200 م.

– شعر الحرب في ادب العرب زكي المحاسني، دار المعرف بمصر .

– الصبح المنبئ عن حيثية المتنبي، الشيخ يوسف البديعي ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط3 ، 1308هـ.

- العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان ،مكتبة الخانجي، ط1،2000م.

– تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، 2006م .

– الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر .

– في الأدب العباسي، محمد مهدي البصير، مطبعة السعدي، بغداد، ط2 1955م.

– القصيدة العباسية قضايا واتجاهات عبدالله التطاوي، مكتبة غريب القاهرة.

– لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ط دار المعارف.

– المتنبي شاعر السيف والقلم، فوزي عضوي، دار الفكر العربي، بيروت، ط2:.

– المتنبي شاعر مكارم الأخلاق، أحمد محمد الشامي، دار البلاغة، جدة 1984م.

– المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، محمود محمد شاكر أبو فهر،1987م.

– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر، القاهرة، 1420 هـ.

- مطالعات في الكتب والحياة، العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3،1966م.

– نزهة الالباء في طبقات الأدباء، الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل، دار النهضة، بمصر، القاهرة، 1967م.

– نوابغ الفكر العربي، المتنبي، زكي المحاسني، دار المعارف ،1983، ط4.
– الواضح في مشكلات شعر المتنبي، الأصفهاني، تحقيق الطاهر بن عاشور، الدار التونسية 1968م.
– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين بن أبي بكر ابن خلكان ،تحقيق: إحسان عباس،دار صادر، بيروت، 1994م .
– يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك الثعالبي النيسابوري أبو منصور، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية،1983م،ط1.